

إمادة ترتيب الأوراق

جذور الفروض: منذ نصف قرن (2)

مقتطفات تصالحية

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD300417.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsyich2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/04/30
السنة العاشرة - العدد: 3529



المقدمة:

اليوم أبدا ما وعدت به أمس، ولست واثقا من نجاح التجربة، قررت أن أقتطف من كتاباتي القديمة جدا ما أعتقد أنه ظل مهجورا بسبب عجزى عن تسويقه، وفي نفس الوعد أحمد الله على أنه طمأننى على موقفى.

وأبدأ المقتطفات من كتاب "عندما يتعري الإنسان" (صور من عيادة نفسية) الذى كتبتة سنة 1968، وصدر بعد سنة من ذلك.

مازالت المفاجأة مستمرة، ويضطرد تصالحي على هذا العمل، كما تحدد دهشتنى لسابق تحفظى على إعجاب من رحب به وأفاد منه، فأحمد الله أن خبرتى كانت على هذه الدرجة من اليقظة من البداية، وأعتذر عن كل ما وصفتُ به هذا العمل من ميله إلى المثالية، واستشهد على هذا الموقف الذى أراجع عنه الآن بما جاء فى مقدمة الطبعة الثانية، وهذا نصه:

المقطع فى 20 مايو 2011

... "إن جرعة الحديث عن "الإنسان" و"الحب" وتلك القيم التى تبدو تجريدا أو مثالية، وبرغم أنها جرعة صادقة، إلا أنها وصلتني أقل جدوى فى توصيل الرسالة وبيان مسيرة العلاج الذى تعلمت منه فى أمارسه الآن، وخاصة فى العلاج الجمعى، الذى تعلمت منه أكثر فأكثر كيف نركز على الواقع "هنا والآن"، وعلى "الفعل"، وعلى "إعادة تشكيل أنفسنا" بما نستطيع معا، على أرض قوية بما فيها ومن فيها.

كتبت هذا الكتاب سنة 1968 وكان عمري 34 سنة، ومدة خبرتى عشر سنوات تقريبا، والآن عمري 78 عاما، وخبرتى 53 عاما، هل يجوز أن أعدل فيه؟

هأنذا أقدمه لأصحابه دون حماس، أملا أن يظل مفيدا لزملائي وزميلاتي الاصغر، وربما لأصدقائي المرضى أيضا، وقد غيرت العنوان الفرعى إلى "دروس للناس: فى الطب النفسى" للتأكيد على كل ذلك.

وقد كان الشكل الذى صدر به هذا الكتاب بمثابة إحياء التقليد الذى جاء فى كتاب "كليية ودمنة"، فى صورة حوار بين الحكيم وسائله، حتى أن كلمة الكتاب كانت هى ما صدر به كاتبه الكتاب الأصل كليية ودمنة، فتوسطت الصفحة الافتتاحية كالتالى:



... "من قرأ هذا الكتاب، ولم يفهم ما فيه، ولم يعلم غرضه ظاهرا وباطنا، لم ينتفع بما بدا له من خطه ونقشه، كما لو أن رجلا قدر له

أبدأ المقتطفات من كتاب "عندما يتعري الإنسان" (صور من عيادة نفسية) الذى كتبتة سنة 1968. وصدر بعد سنة من ذلك

إن جرعة الحديث عن "الإنسان" و"الحب" وتلك القيم التى تبدو تجريدا أو مثالية، وبرغم أنها جرعة صادقة، إلا أنها وصلتني أقل جدوى فى توصيل الرسالة وبيان مسيرة العلاج

ذلك قياسا على ما أمارسه الآن، وخاصة فى العلاج الجمعى، الذى تعلمت منه أكثر فأكثر كيف نركز على الواقع "هنا والآن"، وعلى "الفعل"، وعلى "إمادة تشكيل أنفسنا" بما نستطيع معا، على أرض قوية بما فيها ومن فيها.

كتبت هذا الكتاب سنة 1968 وكان عمري 34 سنة، ومدة خبرتى عشر سنوات تقريبا، والآن عمري 78 عاما، وخبرتى 53 عاما، هل يجوز أن أعدل فيه؟

جوز صحيح لم ينتفع به إلا أن يكسره“

برزويه (رأس أطباء فارس)

كليلة ودمنة

وبعد

هأنذا أبدأ بالاعتطاف المناسب الذى أود من خلاله أن أحيى التاريخ من ناحية، وأؤكد الموقف من ناحية أخرى ثم أضيف ما يعين لى أو لا بأول، وفى نفس الوقت أجد وقتا يسمح لى بلملمة أعمالى قبل فوات الأوان.

يبدأ الاعتطاف من مقدمة الطبعة الأولى لهذا الكتاب الأول: التى كتبت سنة 1968.

المقتطف (1)

على لسان الحيوان تعلمنا الحكمة، وقال بيدبا الفليسيوف لدبشليم الملك حكمة الأمس..، وحكمة اليوم أبعد منالا وأصعب تحقيقًا.. فهى أشد اختلاطًا بالوهم من أى وقت مضى، وبذلك فهى أقل تحديدًا ووضوحًا.

لاحظ التأكيد من البداية على الحذر من ادعاء الحكمة، وعلى التنبيه إلى تجنب الخلط بين الحكمة والوهم، فكيف اتهمت هذا العمل بالمثالية بعد ذلك؟.

المقتطف (2)

وقد حاولت أن أبحث عن حكمة اليوم فى حديثى مع أصدقائى المرضى ووجدتها فى كل مرة بلا استثناء، وحين كنت أعجز أن أراها، كنت أعلم أنى لم أفهم لدرجة كافية، أو أنه - صديقى المريض - لم يعان لدرجة كافية..

لاحظ حتم الاعتراف بمصدر المعرفة الأساسى، وهم المرضى وأنه كلما احتدت المحنة واتسعت دوائر الوعى زاد الأمر صعوبة، ولكن كثرت وعوده المعرفية فى نفس الوقت.

المقتطف (3)

سوف أحاول فى هذه اللقطات أن أعرض بعض زوايا من صور الإنسان حين يتعزى ليهيم على وجهه باحثًا عن حقيقة ذاته، وإنى إذ أعرض هذه الصور التى لا تصف إنسانا بذاته، أرجو أن يقبل القارىء ابتداء صداقه أصدقائى، فهم أعز عندى من أن أعرض صورهم إلا على أصدقاء، رغم أنه لا توجد لقطة واحدة يمكن التعرف على صاحبها الحقيقى احترامًا وعهدًا.

لا تعليق فهذا هو هو موقفى لا يزال

المقتطف (4)

قال أحد هؤلاء الأصدقاء، ”الفتى“ الذى اتضحت رؤيته واستقام على الطريق“: أما وقد انتهى بنا المطاف، فهلاً حدثتني عن بعض ما علمت من أمور النفس وأحوالها، لعلنى أتعلم منك ما لن أجده عند غيرك وربما نفعت به غيرى.

لاحظ أن الفتى المحاور لم يعد مريضًا يتردد، بل طالب معرفة يأمل فى الاسهام فى المشاركة فى حمل الشعلة.

المقتطف (5)

قال الحكيم:

- أما عن ما رأيته فهو كثير كثير، ليس أكثر منه إلا ما لم أراه، أما ما علمته فهو أقل مما رأيته فليس كل ما رأيته علمته، كما أنه ليس كل ما علمته رأيته.. فكم يرى العالم - مهما علم - رؤيا لا

على لسان الحيوان تعلمنا الحكمة، وقال بيدبا الفليسيوف لدبشليم الملك حكمة الأمس...، وحكمة اليوم أبعد منالا وأصعب تحقيقًا.. فهى أشد اختلاطًا بالوهم من أى وقت مضى، وبذلك فهى أقل تحديدًا ووضوحًا

قد حاولت أن أبحث عن حكمة اليوم فى حديثى مع أصدقائى المرضى ووجدتها فى كل مرة بلا استثناء، وحين كنت أعجز أن أراها، كنت أعلم أنى لم أفهم لدرجة كافية، أو أنه - صديقى المريض - لم يعان لدرجة كافية..

سوف أحاول فى هذه اللقطات أن أعرض بعض زوايا من صور الإنسان حين يتعزى ليهيم على وجهه باحثًا عن حقيقة ذاته

إذ أعرض هذه الصور التى لا تصف إنسانا بذاته، أرجو أن يقبل القارىء ابتداء صداقه أصدقائى، فهم أعز عندى من أن أعرض صورهم إلا على أصدقاء، رغم أنه لا توجد لقطة واحدة يمكن التعرف على صاحبها الحقيقى احترامًا وعهدًا

أما وقد انتهى بنا المطاف، فهلاً حدثتني عن بعض ما علمت من أمور النفس وأحوالها، لعلنى أتعلم منك ما لن أجده عند غيرك وربما نفعت به غيرى

يجد لها في علمه تفسيراً، وكم يبحث عن حقيقة تصورها قانوناً فلا يصادفها فيما يرى أبداً، وليس هذا نقصاً في قدرته، ولا هو قصور في علمه، ولكنها طبيعة العلم.. وتقلب صور الحقيقة، وما دام العلم ليس له نهاية - وخاصة في هذه الأحوال - فالمجال يتسع لكل معرفة .

لاحظ موقفي من العلم وضرورة ربطه بالممارسة، وحتماً احترام قصوره، ثم كيف صور هذا النص الحقيقة، وأنها هي التي تلزم كل ما هو علم بمواصلة الكشف والمراجعة بلا توقف ولا نهاية.

المقتطف (6)

تجارب الإنسان الفرد لا يعدلها تجارب الغير، وإنما جعلت معرفة تجارب الغير خيراً لجواز النفع منها لا للاقتداء بها، فالإنسان هو ذاته بكل معالمها الخاصة، ولا بد أن يعرف نفسه في هذه الصورة الفريدة.. وأن يحقق وجوده كوحدة مستقلة في تفاعل دائم مع الدنيا الصاخبة بالناس والأشياء.

لاحظ التحذير من التوقف عند التقليد، والإفراط في الوعظ والتوجيه المباشر، ثم التوصية بضرورة السعي الفردي، والكبح المعرفي، "وكلُّهُم آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا".

المقتطف (7)

وأما ما تسمعه مني ولا تجده عند غيري، فأعلم - بُنَيَّ - أنه ليس عندي جديد غريب، وأن الذي يستطيع أن يرى كما أرى، ويحس كما أحس فإنه قد يجد كل طبيعي غريب، وأيضاً أن كل غريب طبيعي، ثم هو لابد سيجد مفتاح الحقيقة، ولعل العثور على مفتاح الحقيقة هو الطريق الأول أو الأوحيد للمعرفة، لأن الحقيقة ذاتها غير ثابتة ولا هي محدودة ولا محددة.

المقتطف (8)

على أن الكلام كالكسكين ذي الحدين: قد يأتي منه الضرر من حيث ترجو به النفع، وبما أنه ليس هناك وسيلة للتفاهم أفضل من الألفاظ في مجالنا هذا، فلا بد من الحذر ونحن نرسل الكلام، ولا بد من الحرص وأنت تسمع الخبر، ولتأخذ منه ما تحس أنه وافق مكاناً صالحاً في فركك ووجدانك، ولا تقم على نفسك ما لا ترتاح إليه طبيعتك.

الاحظ الحدس الباكر بتراجع دور الكلام في التواصل البشري، والانتباه إلى دور الوجدان متضمناً حركية الوعي البيئشخصي الذي أتضح لي فيما بعد، وقد تناولته في مناقشة بالتفصيل حين قدمت "العقل الوجداني الاعتمالي" (Emotionally Processing Minds) "نشرات" (2014-8-25) :

و- (2014-10-19)

المقتطف (9)

أما أن تنفع الناس بدورك، بما تسمع وتعي، فإنك إنما تفعل ذلك إذا أدركت ما راق لك فعشته وتمثلته؛ ثم حفظته ووعيته، ثم كان جزءاً من كيائك ونفسك.. فإنه ينضح بالخير على غيرك، وإنما تنتشر الحكمة إذا كانت هي الحقيقة، وإنما تتأصل الحقيقة إذا اختلطت بالذات لتصبح إيماناً، ثم يكون الإيمان عملاً طبيعياً تلقائياً سلساً.

لاحظ التأكيد على ضرورة "معايشة" المعرفة وليس مجرد ترديدها، معايشتها حتى تختلط بالكيان كله لتصبح حقيقة تهدي للإيمان "عملاً طبيعياً تلقائياً سلساً"

المقتطف (10)

وأخيراً.. فإني أهدئك اليوم لأنه كما قلت قد انتهى بنا المطاف في تجربتك، ولو أن المطاف لم ينته لما كان لهذا الحديث مكان ولا معنى ولا فائدة، وإنما يقع الضرر من تناول القواعد العامة وكأنها الدواء الناجع لمرض بذاته، فلو أنك مازلت "الفتى المريض" لما كان لهذا الكلام جدوى، بل لكان السكوت عنه أبلغ وأجدي، فالعهد القديم بيننا قد انقطع، ولنتفق على أن يدور الحديث بين "الفتى" و"الحكيم" لا بين "المريض" و"الطبيب".

أما عن ما رأيته فهو كثير كثير، ليس أكثر منه إلا ما لم أراه، أما ما علمته فهو أقل مما رأيته فليس كل ما رأيته علمته، كما أنه ليس كل ما علمته رأيته

كم يرى العالم - ممماً علم - رؤياً لا يجد لها في علمه تفسيراً، وكم يبحث عن حقيقة تصورها قانوناً فلا يصادفها فيما يرى أبداً، وليس هذا نقصاً في قدرته، ولا هو قصور في علمه، ولكنها طبيعة العلم

تجارب الإنسان الفرد لا يعدلها تجارب الغير، وإنما جعلت معرفة تجارب الغير خيراً لجواز النفع منها لا للاقتداء بها

أما ما تسمعه مني ولا تجده عند غيري، فأعلم - بُنَيَّ - أنه ليس عندي جديد غريب، وأن الذي يستطيع أن يرى كما أرى، ويحس كما أحس فإنه قد يجد كل طبيعي غريب، وأيضاً أن كل غريب طبيعي، ثم هو لابد سيجد مفتاح الحقيقة

على أن الكلام كالكسكين ذي الحدين: قد يأتي منه الضرر من حيث ترجو به النفع، وبما أنه ليس هناك وسيلة للتفاهم أفضل من الألفاظ في مجالنا هذا، فلا بد من الحذر ونحن نرسل الكلام، ولا بد من الحرص وأنت تسمع الخبر

أما أن تنفع الناس بدورك، بما تسمع وتعي، فإنك إنما

لاحظ أن هذا الحوار ما كان يمكن أن يكون بهذا العمق والافادة لو كان الفتى المحاور مازال في
بؤرة محنة المرض.

المقتطف (10)

قال الحكيم:

.. "على أنى يا بنى لا أطمع فى الكثير، فلعلى بهذا الحديث قد ألقيتُ فى بحر الركود والظلام حجرا
حاولت أن أشحنه بكل ما أحمل للانسان من حب، ومهما كان الحجر صغيرا فأملى أن تنزاح به دائرة
ما لتصبح دوائر متتابعة إلى غاية نأملها، دون أن تضطر لتحديدتها بشكل حاسم مسبقا.
لاحظ الوعى بصعوبة نشر مثل هذه المعرفة المختلفة عن السائد، وهو الإشكال الذى مازلت
أعاشه وأعانيه وأتحمل مسئوليته حتى هذه اللحظة، وأيضا كيف أن المعرفة مفتوحة النهاية دائما.
وبعد

بالله عليكم، وهل أنا قلت أو نشرت أو كتبت خلال عمر النشرة اليومية عشر سنوات، بل خلال
ستين عاما عمر ممارستى للمهنة غير ذلك.

الحمد لله

والله المعين

تفعل ذلك إذا أدركت ما
راق لك فعشته وتمثلته؛ ثم
حفظته ووعيته، ثم كان جزءا
من كيانك ونفسك

.. "على أنى يا بنى لا أطمع
فى الكثير، فلعلى بهذا
الحديث قد ألقيتُ فى بحر
الركود والظلام حجرا حاولت
أن أشحنه بكل ما أحمل
للانسان من حب، ومهما كان
الحجر صغيرا فأملى أن تنزاح
به دائرة ما لتصبح دوائر
متتابعة إلى غاية نأملها، دون
أن تضطر لتحديدتها بشكل
حاسم مسبقا

*** **

مؤسسة علمية وافية للعربية

Arab Foundation Of Psychological Sciences

<http://arabpsynet.com/>

<http://www.arabpsyfound.com/>

اصدارات مكتبية

السلسلة المكتبية "نفساني" "

"الكتايب العربى لعلوم وطب النفس"

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية "وفى انفسكم"

<http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBFiAnfosikom.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=17&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية "الراسخون"

اصدار لجنة التراخيص النفسى العربى اسلامى

<http://www.arabpsynet.com/TourathPsy/index.TourathPsy.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=18&controller=category&id_lang=3

*** **

سلسلة "الكتايب الابيض" للعلوم النفسى العربية

www.arabpsynet.com/WhiteBooks/eWBIndex.htm

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=32&controller=category&id_lang=3

*** **

السلسلة المكتبية "الإنسان والتطور"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm>

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=20&controller=category&id_lang=3